اعتراضات ابن القيم النحوية في بدائع الفوائد على السهيلى

الدكتورة

عيشة سيد أحمد أبو الفتوح الحداد

أستاذ اللغويات المساعد

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد....

يزخر التراث الإسلامى بكثير من العلماء الذين رفعوا راية الهدى وكان لهم فضل السبق، وتكبدوا المصاعب فى نقل هذا التراث الكريم لنا من هؤلاء " ابن القيم الجوزية " العالم الذى له أكبر الأثر فى نقل فكر "ابن تيمية"، وغيره من العلماء السابقين له وقد ذكر لى أستاذى رحمه الله الأستاذ الدكتور/ محمد يسرى زعير أنه نحوى أفضل من كثير من النحاة وكتابه بدائع الفوائد يحتوى على كثير من المسائل اللغوية التى ناقشها ابن قيم الجوزية ببراعة ودقة متناهية فابن القيم أحد علماء القرن الثامن الهجرى الذى ذاع صيته وكتبه من أفضل الكتب بشهادة الجميع

هذا وقد أشار غير واحد من العلماء إلى أهمية كتاب بدائع الفوائد منهم الشيخ الدكتور/ عبد الخالق عضيمه حيث نقل جملة من آراء ابن القيم فى كتابه " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " وأشاد به فى غير موضع.

وقد وجدت لابن القيم استدراكات قيمة على السهيلى ناقشها مناقشة موضوعية لذلك أردت بهذه الدراسة إلقاء الضوء على بعض هــذه الاستدراكات وبيان أهمية كتاب بدائع الفوائد وتوضيح ما فيه مــن قضايا نحوية عظيمة الفائدة.

وكانت خطتى فى هذه الدراسة عرض سيرة موجزة عن العــالمين ابن القيم الجوزية والسهيلى، ثم ذكرت المسائل النحوية التى كانت محل نقاش ونقد من ابن القيم للسهيلى.

فالبحث ينقسم إلى:-

مقدمة

والدراسة التمهيدية وهى على ثلاث نقاط:

(أ) ابن القيم الجوزية وكتابه بدائع الفوائد.

(ب) السهيلى وكتابه " نتائج الفكر ".

(ج) بين بدائع الفوائد ونتائج الفكر.

والمسائل النحوية التى اعترض فيها ابن القيم على السهيلى على النحو التالي :.

(١) اشتقاق لفظ الجلالة.

(٢) إعراب كلمة " الرحمن " فى البسملة.

(٣) بناء اسم الموصول " الذين ".

(٤) "ما " المصدرية ودخولها على الفعل " طال – قلَّ " .

(٥) عطف النعوت بعضها على بعض.

(٦) الفاء العاطفة ومعناها.

(٧) " لكن " هل هى بسيطة أو مركبة ؟ وحكمها إذا خُففت.

(٨) أسرار التقديم والتأخير فى بعض الآيات.

(٩) حذف التاء وتركها فى قوله ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾[1] .

(١٠) تعدي الفعل "كلت لزيد ، ووزنت له " ودلالته.

(١١) إفراد الخبر وجمعه بعد " كل " .

(١٢) حذف أحد مفعولى " أظن وأعلم ".

(١٣) الحال المؤكدة ومعناها.

والله المستعان.

(١) سورة هود : من الآية (٩٤) .

الدراسة التمهيدية

وفيها ثلاث نقاط :

(أ) ابن قيم الجوزية وكتابه (بدائع الفوائد)

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزَّرعى الدمشقى، الشهير بابن قيم الجوزية ولد ابن القيم فى السابع من شهر صفر سنة ٦٩١هـ.

مؤلفاته : قد كتب ابن القيم فى الفقه والتفسير والأصول والحديث واللغة

ومن أهم مؤلفاته :

١-بدائع الفوائد.

٢-الفوائد.

٣-اجتماع الجيوش الإسلامية فى الرَّد على المعطلة والجهمية.

٤-الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية.

٥-الصواعق المرسلة على الجهمَّية والمعطلة.

٦-نونية ابن القيم.

٧-الكافية الشافية فى النحو.

٨-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

٩-الوابل الصيب من الكلم الطيب.

توفى فى الثالث عشر من رجب سنة ٧٥١هـ، ولـه مـن العمـر ستون سنة.

شيوخه : تلقى علومه على مشاهير أهل العلم كابن عبـد الـدائم " ت٧١٨هـ "، وتقى الدين بن تيمية "٧٢٧هـ "، وعيسـى شـرف الدين المطعم " ت٧١٩هـ " وغيرهم.

تلاميذه : أخذ عنه العلم جمٌّ "غفير" انتفعوا به وكان أكثرهم يعظمونه كابن عبد الهادى ٧٤٤هـ، وابن كثير ٧٧٤هـ، وصـلاح الـدين الصفدى ٧٦٤هـ، وابن رجـب ٧٩٥هـ، والسـبكى ٧٥٦هـ وغيرهم[١].

قال عنه الذهبي « عُنى بالحديث، ومتونه وبعـض رجالـه وكـان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره وتدريسه »[٢].

وقال الصفدى :« طلب من العلوم كل ما هو غالٍ ونفيس فقد تبحر فى العربية وأتقنها وحررَ قواعدها ومكنها[٣].

---

(١) راجع ترجمته ذيل طبقات الحنابلـة ٤٤٢/٢-٤٤٧ لابـن الحاجـب ط أ، ١٣٧٢ هـ، والوافى بالوفيـات للصـفدى ١٧٠/٢-١٧١ ، وبغيـة الوعـاة ٦٢/١-٦٣ .

(٢) المعجم المختص صـ١٤٥.

(٣) أعيان العصر ١٤٢/٤ .

كتابه بدائع الفوائد :-

هو كتاب عظيم الفائدة جمع فيه ابن القيم من كل علم وفن فقد ذكر فيه :

(١) علوم القرآن والبلاغة والإعجاز.

(٢) علم أصول الفقه.

(٣) مسائل فى التفسير .

(٤) علم الكلام وبعض مسائله .

(٥) تحدث عن المعانى اللغوية والفروق بين الكلمات فى المعانى.

(٦) مسائل نحوية عظيمة الفائدة.

(٧) مسائل صرفية دقيقة.

(٨) الحكم والمواعظ.

(٩) مسائل وفتاوى فى أحكام الشريعة.

وقد أشار السيوطي فى البغية إلى أن بدائع الفوائد مجلدان وهو كثير الفوائد أكثره مسائل نحوية[١]

ونقل منه الإمام الزركشي فى كتابه البرهان فى علوم القرآن فقد أفاد منه فى باب الشرط. [٢]

---

(١) بغية الوعاة ١/٦٢- ٦٣.
(٢) راجع البدائع ١/٣٧- ٥١ والبرهان ٢/٣٥٦-٣٥٧.

وحديثه عن أصول الفقه. [١]

وحديثه عن الأمثال فى القرآن[٢]

وقال الشيخ الدكتور/ عبدالخالق عضيمة عن الكتاب:-

"في اعتقادي أن فهرسة كتب النحو فهرسة دقيقة وافية إنما هي خطوة فى سبيل تيسير النحو

أضف إلى ذلك أن الحديث فى مسائل النحو يتجاوز كتب النحو إلى كثير من كتب العلوم الأخرى ففي كتب اللغة نحو كثير .....

كبدائع الفوائد لابن القيم. [٣]

فلهذا الكتاب قيمة كبيرة وأثر عظيم

ونظراً لقيمته الكبرى ورصد المسائل والفوائد فى هذا الكتاب ثم تبويب هذه المسائل وفق علومها الخاصة وهذا ما ييسر للباحثين القراءة المنهجية فى هذا الكتاب فتجمع مثلاً المسائل المتعلقة بالتفسير وأصوله وهى واسعة وقد خصص مئة صفحة لتفسير المعوذتين ولجمع المسائل المتعلقة بالأحكام الشرعية وتبوب بمنهجية دقيقة وكذلك ما يتعلق بالنحو والصرف والبلاغة.....حتى

---

(١) راجع البدائع ٢١٧/٤، ٢١٩، والبرهان ٦/٢-١٢.
(٢) البدائع ٢٢٢/٤، والبرهان ٤٨٣/١.
(٣) المقتضب ٢/٤-٣.

يقف القارئ بجلاء على اللطائف والأسرار التى أودعها ابن القيم ويعرف الأصالة التى انبثقت من فكر الإمام [١].

(ب) السهيلى وكتابه نتائج الفكر :

أبو القاسم السهيلى – هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى وله كنيتان هما أبو القاسم، وأبو زيد وزاد الذهبى أيضًا أبا الحسن ولكن ما اشتهر به السهيلى فى كتاب النحو وغيرها أبو القاسم [٢]

ولد سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة وهى مدينة كبيرة بالأندلس، وتلقى علومه المتنوعة عن أجلاء علماء الأندلس فى القرن السادس كابن العربى المالكى وسليمان بن يحيى، وأبى منصور بن الخير، وشريع بن محمد وأبى عبد الله بن مكى، وبرز من شيوخه فى علم العربية خاصة أبو الحسين ابن الطراوة [٣]

وكان له الفضل فى توجيه السهيلى علميًا.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢ .

(٢،٣) المطرب من أشعار أهل المغرب صـ٢٣٠ لابن عمر بن دحية أبو الخطاب، تح/ إبراهيم الابياري وآخرين ط الأميرية، وبغية الوعاة ١١٥/٢ ، وأبو القاسم السهيلى ومذهبه النحوى صـ١٥٧ .

على أن القارئ لكتب هذا الإمام لابدَّ أن يعجب بإبداعه ونبوغه فى كثير من مسائل اللغة والنحو والبلاغة مما لم يعهد عند السابقين له [١]

وقال أبو جعفر بن الزبير [٧٠٨ هـ] عنه :-

كان السهيلى واسع المعرفة غزير العلم نحويًا متقدمًا لغويًا عالمًا بالتفسير وصناعة الحديث، عارفًا بالرجال والأنساب، عارفًا لعلم الكلام وأصول الفقه، حافظًا للتاريخ القديم والحديث ذكيًا نبيهًا صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة" [٢]

ومن أهم مؤلفاته :

(١) الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية.

(٢) شرح الجمل.

(٣) التعريف والإعلام بما فى القرآن من الأسماء والأعلام.

(٤) مسألة السر فى عور الدجال.

(٥) مسألة رؤية الله والنبى فى المنام.

(٦) نتائج الفكر في النحو.

(٧) الأمالى.

---

(١) المطرب صـ٢٣١ ، وبغية الوعاة ١١٥/٢.

(٢) نفس المرجع ص٢٣١ – ٢٣٢، ووفيات الأعيان ٣٢٣/٢ .

توفى الإمام السهيلى ليلة الخميس خامس عشرة شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة»[١]

كتابه " نتائج الفكر " :[٢]

قد سار السهيلى فى ترتيبه لكتابه على غرار كتاب الجمل للزجاجى "٣٣٧هـ" .

قال فى مقدمة كتابه : « ومقصدنا أن نرتبها على أبواب كتاب الجمل لميل قلوب الناس إليه وقصرهم الهمم عليه».

ثم قال :

« وقد عُزِم بعد طول مطالبة من الزمان ومجاذبة لأيدى الحدثان، وأمراض همة لا تغب، وزمَّانه مرض تنيم الخاطر فلا يهب على جمع نبذ من نتائج الفكر اقتنيتها فى خلس من الدهر معظمها من عدل النحو اللطيفة وأسرار هذه اللغة الشريفة »[٣]

ونتائج الفكر ليس شرحًا لكتاب الجمل ولكن ترتيبه على نهج كتاب شرح الجمل.

ولقد تضمن كتاب نتائج الفكر على صغر حجمه مسائل نحوية ولغوية وتفسيرية واسعة قد تناول فيه بحوث النحو العربى الأفعال

---

(١) بغية الوعاة ١١٥/٢ ، ومعجم المؤلفين للدكتور كحالة ٢٣٢/٣ .
(٢) تم طبع كتاب نتائج الفكر للسهيلي أكثر من مرة والطبعة المعتمدة تحقيق د/محمد إبراهيم البنا دار الاعتصام ١٩٨٤م.
(٣) مقدمة نتائج الفكر صـ٢ .

والحروف والأسماء، وقد عرض المسائل النحوية بأسلوب ممتع ، فرق فيه بين العرض التفصيلى وبين طرح الأسئلة والإجابة عنها وهو فى ذلك مثل غيره من النحاة كالزمخشرى فى الكشاف وأبوالبركات الأنبارى فى أسرار العربية .

ويقول السهيلى عن علم العربية « يكشف عن بصر فؤاد صاحبه فينزهه فى رياض البدائع والعجائب، ثم لا يطمع فى الاستبصار والاستكثار من فوائده ونضاره والاستبحار فى فنون فوائده ومباحث أغواره إلا بعد معرفة باللسان الذى أنزل به القرآن ولغة النبى الذى أُحِلْنا عليه فى البيان فإنه سبحانه يقول ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[1]،وقال سبحانه﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[2]»[3]

(١) سورة إبراهيم : من الآية (٤) .
(٢) سورة الشعراء :الآية (١٩٥) .
(٣) مقدمة نتائج الفكر صـ٢-١٠ .

(ج) بين بدائع الفوائد ونتائج الفكر [١]

ابن القيم في كتابه لم يكن مجرد ناقل لآراء غيره بل كانت له شخصية علمية فذة وقد أخذ فى ردوده على السهيلى مأخذ الجد والاجتهاد وقام بشرح عبارة السهيلى وإزالة ما فيها من غموض وتعقيد.

والحق الذى لا شك فيه أن كتاب بدائع الفوائد جدير بإعجاب القارئ به وبعد قراءته سيتضح للقارئ قيمة هذا الكتاب العلمية ومناقشته للمسائل التى ذكرها السهيلي فى كتابه.

فأراء السهيلى لا شك قد وافقت هوى من نفس ابن القيم وخاصة فى المسائل التى تتناول إعجاز القرآن وإظهار علل النحو وأسرار العربية والحديث من معانى الأدوات والحروف وأعجب أيضًا بطريقة الرجل فى دقة استنباطه وتعليله فالسهيلى يحاول أن يظهر المعانى العميقة وراء التراكيب النحوية ويبرز الدلالات المستترة فى الجملة النحوية لذلك نجد السهيلي يتخذ هذه الدراسة وسيلة من وسائل فقه الكتاب العزيز وكان لابن القيم عدة طرق فى تناوله لكتاب السهيلي:

(أولاً) شرح كلام السهيلى والإشارة إلى ما وقع له من وجوه الاختلال أو الاضطراب أو ما يحتمل تفصيلاً وتحريراً .

---

(١)بين بدائع الفوائد ونتائج الفكر ٥٨-٦١ ، للدكتور/أيمن الشوا .

(ثانياً) الرد على آراء السهيلى ونقده والاعتراض عليه

(ثالثاً) الإعجاب واستحسان لآراء السهيلى وبيان فضله وتقدمه وهذا كثير.

(رابعاً) نقل كلام السهيلي دون نسبته إليه وهذا قليل.

فابن القيم كان صريحًا فى الإشارة إلى المسائل والآراء التى نقلها من السهيلى أو المواضع التى علق عليها وقد بلغت أكثر من خمسين موضعًا.

ونقتصر من ذلك على المسائل التى نقد فيها السهيلى واعترض عليه وهى المسائل التى ندرسها فى هذا البحث.

ودراسة هذه المسائل حسب ترتيبها فى كتاب بدائع الفوائد على النحو التالى:

المسألة الأولى:- اشتقاق لفظ الجلالة "اللّه":-

اختلف النحاة فى اشتقاق اسم "الله" سبحانه ، فمنهم من يري اشتقاقه ومنهم من يري أنه غير مشتق.

يقول سيبويه:-

"واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادى اسماً فيه الألف واللام ألبته إلا أنهم قد قالوا :- (يالله اغفر لنا) وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لايفارقانه وكَثر في اللام فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام من نفس الحروف .....

وكأن الاسم والله أعلم إله فلما أدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف وصارت الألف واللام خلفا منها. فهذا أيضاً مما يقويه أن يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف.

ومثل ذلك أناسى فإذا أدخلت الألف واللام قلت : (الناس)، إلا أن (الناس) قد تفارقهم الألف واللام ويكون نكرة واسم الله تبارك وتعالى لا يكون فيه ذلك"[(١)].

وكلام سيبويه يشير إلى رأيين فى اشتقاق ولفظ الجلالة (الله) :

الأول : أن أصله إله مثل كتاب

والثانى : أصله لاه على وزنَّ فعل[(٢)]

---

(١) الكتاب ١٩٥/٢ والبحر المحيط ١٤/١ فما بعدها.
(٢) الكتاب ١٩٥/٢، والبحر المحيط ١٤/١ فما بعدها .

وهذه المسألة قد عرضها السهيلى واختار رأى شيخه أبى بكر عمر بن العربى(١).

حيث قال :- والذى أختاره من تلك الأقوال كلها هذا : أن الاسم غير مشتق من شئ وأن الألف واللام من نفس الكلمة إلا أن الهمزة وصلت لكثرة الاستعمال....ويدلك على أنه غير مشتق أنه سبق الأشياء التى زعموا أنه مشتق منها، لا تقول : إن اللفظ قديم ولكنه متقدم على كل لفظ وعبارة (٢)

أما ابن القيم فقال : معلقا على كلام السهيلي " زعم السهيلى وشيخه أبو بكر بن العربى أن اسم الله غير مشتق لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها اسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق.

ثم قال : ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألمَّ بقلوبهم وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهى الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافرى ولد في إشبيلية سنة ٤٨٨هـ له سهرة فى علمه أتقن الفقه والأصول والحديث وله مؤلفات كثيرة ، راجع شذرات الذهب ١٤١/٤.

(٢) نتائج الفكر ٤٠-٤١ .

وهى قديمة والقديم لا مادة فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق «اسمه "الله"»[١]

ثم قال : " ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعنى بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعًا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، وقول سيبويه أن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء"[٢]

هو بهذا الاعتبار.....فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادى وإنما هو اشتقاق تلازم تسمى المتضمن بالكسر مشتقًا والمتضمن بالفتح منه مشتقاً منه ولا محذور فى اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى [٣]

وقد لخص ابن يعيش "ت٦٤٣هـ" هذه المسألة فقال:-

واختلف العلماء فيه هل هو اسم موضوع أو مشتق فذهب سيبويه فى بعض أقواله إلى أنه اسم مرتجل للعلمية غير مشتق .... وذهب آخرون إلى أنه مشتق ولسيبويه فى اشتقاقه قولان:-

أحدهما أن أصله إلاه على زنة فعال .....

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٩-٢٠ مختصرًا .
(٢) انظر الكتاب ٣/٢ ، والبحر المحيط١٤/١ .
(٣) بدائع الفوائد ٢٠/١ ، وانظر المغنى ١٢٨/٢ .

ومعنى الإله المعبود .....

والقول الثاني من قول سيبويه أن أصله لاه ثم أدخلت الألف واللام عليه لما ذكرناه .... ووزن لاه فَعّل واشتقاقه من لاه يليه إذا تستر كأنه سبحانه يسمى بذلك لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار(١).

وإن كنت أرى رأى السهيلي ومن وافقه بأن اسم الجليل ليس مشتقاً لكنى أميل لكلام ابن القيم حيث يرى أن الاشتقاق غير مادى وإنما هو اشتقاق تلازم كما فسر ابن القيم ومن وافقه.

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٣/١ مختصراً.

المسألة الثانية : إعراب كلمة " الرحمن " فى البسملة :-

ذهب بعض النحاة إلى أنه نعت وذهب آخرون إلى أنه بدل من لفظ الجلالة الله واستبعدوا النعت فيه لأنه علم وإن كان مشتقاً من الرحمة.

وهذه المسألة قد ذكر فيها السهيلي أمرين :-

أولاً :- إعراب كلمة "الرحمن".

ثانياً :- الجمع بين الرحمن والرحيم فى البسملة.

يقول السهيلى عن الأمر الأول : ذهب قوم إلى أنه نعت وذهب آخرون إلى أنه بدل من " الله " واستبعدوا النعت فيه لأنه علم وإن كان مشتقًا من الرحمة، ولكنه ليس بمنزلة الرحيم، ولا الراحم وغير ذلك، مما يطرد القياس فيه ويكثر فى النعوت مثله .

وأما " الرحمن " فإنه مختص بالعلمية ومصوغ لها.....

والبدل عندى فيه ممتنع ، وكذلك عطف البيان لأن الاسم الأول لا يفتقر إلى تبين لأنه أعرف الأسماء كلها، وأبنيتها ألا ترى أنهم قالوا " وما الرحمن " ولم يقولوا، وما الله ولكنه – وإن كان يجرى مجرى الأعلام – فإنه مشتق من الرحمة فهو وصف يراد به الثناء[١]

---

(١) نتائج الفكر ٥١-٥٢ .

وبعد ذكر ابن القيم كلام السهيلى قال : أسماء الرب تعالى هى أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافى فيها العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافى اسميته، وصفيته فمن هو حيث هو صفة جرى تابعًا على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد فى القرآن غير تابع كمجئ اسم الله كذلك وهذا لا ينافى دلالته على صفة الرحمن كاسم الله فإنه دال على صفة الألوهية، ولم يجئ قط تابعًا لغيره بل متبوعًا وهذا بخلاف العليم والقدير ونحوها ولهذا لا تجئ هذه مفردة بل تابعة....

نتأمل هذه الفكرة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم، وصفة لا ينافى أحدهما الآخر(١)

وما ذكره السهيلى وابن القيم قد وجهه ابن الحاجب وابن هشام فالرحمن لم تستعمل صفة ولا مجردًا من أل..... وينبنى على علميته أنه فى البسملة، ونحوها بدل لا نعت وأن الرحيم بعده نعت له لا نعت لاسم الله سبحانه وتعالى إن لا يتقدم البدل على النعت .

وقال ابن هشام :- وما يوضح لك أنه غير صفة مجيئه كثيرًا غير تابع نحو"الرحمن علم القرآن " ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾(١) ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾(٢)،(٣)

---

(١) بدائع الفوائد ٢٧/١ مختصرًا .

وقال الشهاب الخفاجى[٤]: ولا يُخفى ما فيه وأن استفاضة إضافته نحو رحمن الدنيا تنافيه وفى شرح الكتاب لابن خروف أن الرحمن صفة غالبة ولم يقع تابعًا إلا لله فى بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، لذا حكم عليه بغلبة الاسمية وقل استعماله منكرًا، ومضافًا فوجب كونه بدلاً لا صفة لكون لفظ الله أعرف المعارف [٥]

وابن القيم يوافق السهيلى فى بعض كلامه فى أن " الرحمن " اسمه تعالى ووصفه ولا تنافى بينهما.

أما الجمع بين الرحمن والرحيم:-

فقد قال السهيلى عن سر هذا الجمع: وفائدة الجمع بين الصفتين أعنى " الرحمن والرحيم " وإن كانتا جميعًا من الرحمة لإنباء عن رحمة عاجلة ورحمة آجلة أو عن رحمة عامة وأخرى خاصة حاصلتين لقارئ القرآن والله أعلم [٦]

ولكن ابن القيم استدرك على كلام السهيلى قائلاً : وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى أحسن من المعنيين الذين ذكرهما "

---

(١) سورة الرحمن : الآيتان (١، ٢) .
(٢) سورة الإسراء : من الآية (١١٠) .
(٣) المعنى لابن هشام ١٢٨/٢ .
(٤) أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري قاضي القضاه وصاحب التصانيف فى الأدب واللغة ولد ٩٧٧هـ وتوفى ١٠٦٩هـ راجع مقدمة حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي.
(٥) حاشية الشهاب الخفاجى ٦٩/١ ، وانظر البرهان للزركشى ١٠٣/١٠٢/٤ .
(٦) نتائج الفكر صـ٤ ، وراجع الروض الأنف ٢٨٩/٢ والبحر ١٧/١ .

السهيلى " فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثانى دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هـذا فتأمـل قولـه ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[١]، وقوله ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] ولم يجئ قط " رحمن بهم " فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته [٣]

ويقول الدكتور فاضل السامرائى : صيغة فعلان تدل على الصـفات المتجددة وذلك نحو " عطشان، وجوعان " فإن العطش فى عطشان ليس صفة ثابتة بل يزول ويتحول وكذلك جوعان.....، بخـلاف " فعيل " فإنه يدل على الثبوت وذلك نحو كريم، وبخيل، وطويل فـإن هذه صفات ثابتة فليس " طويل " مثل عطشان فى الوصف فجمع الله لذاته الوصفين

إذ لو اقتصر على " الرحمن " لظن ظان أن هذه صفة طارئـة قـد تزول كعطشان وريان

ولو اقتصر على " رحيم " لظن أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة، وتجددها إذ قد تمر على الكريم أوقـات لا يكـرم فيها وقدتمر على الرحيم أوقات كذلك، والله تعالى متصف بأوصاف

(١) سورة الأحزاب : من الآية (٣٣) .
(٢) سورة التوبة : من الآية (١١٧) .
(٣) بدائع الفوائد ١/٢٠-٢١ .

الكمال فجمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هى الرحمة، وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع حتى لا يستبد به الوهم بأن رحمته تعرض ثم تنقطع، أو قد يأتى وقت لا يرحم فيه سبحانه فجمع الله كمال الإتصاف بالرحمة لنفسه (١)

وندرك مما سبق أن الرحمن اسم لله وصفة، وأنه يأتى مفردًا، وصياغته تدل على التجدد والحدوث والرحيم يدل على الثبوت والدوام .

كما ذكر ابن القيم وغيره.

وتوجيه ابن القيم أحسن من السهيلى فى اجتماع الرحمن مع الرحيم فى المسألة كما ذكرنا والله أعلم.

(١) التعبير القرآنى صـ٣٩-٤٠ ، للدكتور/ فاضل صالح السامرائى طـ دار عمار طـ"٤" ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

المسألة الثالثة بناء " الذين " :

"الذين" اسم من الأسماء الموصولة اختلف النحاة فى إعرابها هل تأتي مبنية دائماً كالمفرد "الذى" أو تكون معربة ؟.

قال السهيلى: " ... وأما استحقاقه للبناء – أعني الذى – فلما ذكره النحويون من مضارعة الحرف، والإبهام ... وأما إعرابه فى حال التثنية هي الألف وهي بعينها علامة الرفع فى الأسماء، فلم يكونوا لينبوه وفيه علامة الإعراب فإن قيل : فما بالهم بنوا الجمع – أعنى الذين – وهو على حدَّ تثنية وفيه علامة الإعراب ؟.

قلنا : الجمع يفارق التثنية من وجهين، أحدهما : إن الجمع قد يكون إعرابه كإعراب الواحد بالحركات، نعم ، وقد يكون الجمع اسمًا واحدًا فى اللفظ كقولك : " قوم ورهط"، الثانى : إنَّ الجمع فى حال نصبه، وخفضه يضارع لفظه لفظ الواحد من حيث كان آخره ياء مكسورًا ما قبلها فحملوا الرفع الذى هى لأقل حالاته على النصب والخفض وغلبوا عليه البناء حيث كان لفظه فى الإعراب فى أغلب أحواله كلفظه فى البناء.

وليس كذلك التثنية لأن ياءها مفتوح ما قبلها فلا يضارع لفظها فى شئ من أحوالها لفظ الواحد.

وأما النون فى " الذين " فلا معتبر بها لأنها ليست فى الجمع ركنًا من أركان صيغته، لسقوطها فى الإضافة وفى ضرورة الشعر كما قال " من [الطويل]":

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد(١)

....." (٢)

وقال ابن القيم معترضاً :-

هذا تعليل السهيلى وعندى فيه علة ثانية وهى أن التثنية فى الذين خاصة من خواص الاسم قاومت شبه الحرف فتقابل المقتضيان فرجع إلى أصله فأعرب بخلاف "الذين" فإن الجمع، وإن كان من خواص الأسماء لكن هذه الخاصة ضعيفة فى هذا الاسم لنقصان دلالته مجموعًا عما يدل عليه مفردًا فإن "الذى" يصلح للعاقل، وغيره، و"الذى" لا يستعمل إلا للعقلاء خاصة فنقضت دلالته، فضعفت خاصية الجمع فيه فبقى موجب بنائه على قوته، وهذا بخلاف المثنى فإنه يقال على العاقلين وغيرهما فإنك تقول : الرجلان اللذان لقيتهما والثوبان اللذان لبستهما، ولا تقول : الثياب

(١) البيت من الطويل وهو للأشهب بن رميلة ، انظر الكتاب ١٨٧/١ ، والمقتضب ١٤٦/٤ ، وشرح المفصل٣/١٥٥ ، والمغنى ٧٣/١، والتصريح١٤٩/١ ، والشاهد فيه حذف النون من الذين استخفافا لطول الاسم بالصلة ، انظر هامش الكتاب١٨٧/١ .
(٢) نتائج الفكر صـ١٧٩-١٨٠ .

الذين لبستهم وعلى هذا التعليل فلا حاجة بنا إلى ركوب ما تعسفه رحمة الله من مضارعة الجمع للواحد وشبهه به وتكلف الجواب عن تلك الإشكالات والله أعلم (١)

انتهى كلام ابن القيم حيث يرى بناء الذين لضعف دلالته في الجمع عما يدل عليه مفرداً.

وقال ابن مالك:- ولم يعرب أكثر العرب "الذين" وإن كان الجمع من خصائص الأسماء لأن الذين مخصوص بأولى العلم والذى عام فلم يجر على سنن الجموع المتمكنة بخلاف اللذين واللتين فإنهما جرتا على سنن المثنيات المتمكنة لفظاً ومعنى وعلى كل حال ففى " الذى والذين " شبه بالشجى والشجين فى اللفظ وبعض المعنى فلذلك لم تجمع العرب على ترك إعراب الذين بل إعرابه فى لغة هذيل مشهور". (٢)

وهذا يدل على أنها قد تعرب أحياناً ولكن الأغلب بناءها.

وعندي أن ما ذهب إليه ابن القيم ومن سبقه ووافقه هو الأصوب والمقبول.

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٠٧-١٠٨ .

(٢) شرح التسهيل ١/١٩١ ، وانظر توضيح المقاصد ١/٤٢٤-٤٢٥ وأسرار العربية ٣٨٢ - ٣٨٣.

المسألة الرابعة " ما " المصدرية :

"ما" المصدرية مبهمة تقع على جنس تختلف أنواعه مثل يعجبني ما صنعت وتحتمل معنى الموصوله فيكون التقدير يعجبنى الذى صنعت وقد تدل على الوقت كما فى قولهم:- "طالما يقوم زيد" وهنا اختلفوا فى تأويلها.

قال أبو القاسم السهيلى : الأصل فى هذا أن " ما " لما كانت اسمًا مبهمًا لم يصح وقوعها إلا على جنس تختلف أنواعه فإن كان المصدر مختلف الأنواع جاز أن تقع عليه ويُعبَّر بها عنه كقولك " يعجبنى ما صنعت" وما عملت وما حكمت لاختلاف الصيغة والعلم، والحكم فإن قلت يعجبنى ما جلست وما انطلق زيدٍ كان عُثًّا من الكلام لخروج ما عن الإبهام ووقوعها على ما لا يتنوع من المعانى لأنه يكون التقدير "يعجبنى الجلوس الذى جلست"، والقعود الذى قعدت، فيكون آخر الكلام مفسرًا لأوله رافعًا للإبهام فلا معنى حينئذ لما.... وأما قولهم :- طالما أقمنا في المكان وطالما قعدنا فما واقعة على الزمان والفعل بعدها متعد إلى ضميره والتقدير طال زمان أقمنا فيه والزمان مبهم". (١)

(١) نتائج الفكر صـ١٨٦-١٨٧ مختصرًا .

ويقول ابن القيم : ومن أقسامها : المصدرية ومعنى وقوعها عليه أنها إذا دخلت على الفعل كان معها فى تأويل المصدر....

فإنك إذا قلت : " يعجبنى قيامك " كان حسنًا فلو قلت " يعجبنى ما تقوم " لم يكن كلامًا حسنًا... (١)

ثم قال ابن القيم معلقًا : والتحقيق أن قوله يعجبنى ما تجلس وما ينطلق زيد إنما استكره وكان عُثًا لأن ما المصدرية والموصولة يتعاقبان غالبًا ويصلح أحدهما فى الموضع الذى يصلح فيه الآخر وربما احتملها ولا يميز بينهما فيه إلا بنظر وتأمل فإذا قلت " يعجبنى ما صنعت " فهى صالحة لأن تكون مصدرية أو موصولة.

وكذلك ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ (٢)، ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (٣)

فتأمله تجده كذلك.....

وأما " طالما يقوم زيد"، "وقل ما يأتى عمرو" فما هنا واقعة على الزمان(٤)، والفعل بعدها متعد إلى ضميره بحرف الجر والتقدير "طال زمان يقوم فيه زيد" وثم حذف الضمير مسقط الحرف هذا تقدير

(١) بدائع الفوائد ١١٨/١.
(٢) سورة النور : من الآية (٤١) .
(٣) سورة آل عمران : من الآية (١٦٣) .
(٤) نتائج الفكر ١٨٧ مختصرًا .

طائفة من النحاة منهم السهيلى وغيره ويحتمل عندى تقديرين آخرين هما أحسن من هذا:

أحدهما : أن تكون مصدرية وقتية والتقدير طال قيام زيد وقَلَّ إتيان عمرو، وإنما كان هذا أحسن لأن حذف العائد من الصفة قبيح بخلاف حذفه إذا لم يكن عائدًا على شئ فإنه أسهل، وإذا جعلت مصدرية كان حذف الضمير حذف فضله غير عائد على موصوف

والتقدير الثالث وهو أحسنها إن " ما " هنا مهيئة لدخول الفعل على الفعل ليست مصدرية، ولا نكرة إنما أتى بها لتكون مهيئة لدخول طال على الفعل فإنك لو قلت :- طال يقوم زيد قل يجئ عمرو لم يجز فإذا أدخلت " ما " استقام الكلام.... (١)

وكلام ابن القيم يوضح أن " ما " المصدرية تدخل على الفعل وتكون مصدرًا مقدرًا وأنها قد تتناوب مع الموصولة فى ذلك فيجوز " يعجبنى ماصنعت" فهى صالحة لأن تكون مصدرية" أو موصولة، أما إذا دخلت على فعل مثل " طال، وقل فتكون مصدرية ووقتيه، أو مهيئة لدخول الفعل على الفعل ، وهذا أحسن من تقدير السهيلي.

---

(١) بدائع الفوائد ١/١١٨-١١٩ .

المسألة الخامسة : عطف النعوت بعضها على بعض :

يجوز عطف النعوت بعضها على بعض إذا أفادت المغايرة، وقد جاء هذا النوع من العطف فى القرآن الكريم وله دلالات واسعة اجتهد فيها المفسرون والنحاة ونوضح هذه المسألة على النحو التالى:-

يقول السهيلى : وإن شئت عطفت بعض النعوت على بعض[١].

الأصل فى باب العطف أن لا يعطف الشئ على نفسه، وإنما يعطف على غيره وعلة ذلك أن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل، وتكرار العامل يلزم معه تغاير المعمول.....

فأما قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[٢] فلأنها ألفاظ متضادة المعانى فى الأصل موضوعها فكان دخول " الواو " صرفًا لوهم المخاطب – قبل التفكر والنظر – عن توهم المحال واجتماع الأضداد من المجال لأن الشئ لا يكون ظاهرًا باطنًا من وجه واحد وإنما يكون ذلك من وجهين مختلفين فكان العطف ها هنا أحسن من تركه لهذه الحكمة الظاهرة... [٣]

---

(١) الجمل ص ٢٨ العبارة منه.
(٢) سورة الحديد : من الآية (٣) .
(٣) نتائج الفكر صـ٢٣٨-٢٣٩ .

أما ابن القيم فله رأى أحسن من رأى السهيلى حيث قال : هذا جواب السهيلي وأحسن منه أن يقال : لما كانت هذه الألفاظ دالة على معانى متباينة وأن الكمال فى الاتصاف بها على تباينها أت بحرف العطف الدال على التغاير بين المعطوفات إيذانًا بأن هذه المعانى مع تباينها فهى ثابتة للموصوف بها ووجه آخر وهو أحسن منها وهو أن الواو تقتضى تحقيق الوصف المتقدم، وتقريره يكون فى الكلام متضمنًا لنوع من التأكيد من مزيد التقرير، وبيان ذلك بمثال تذكرة مرقاة إلى فهم ما نحن فيه إذا كان لرجل مثلاً أربع صفات هو عالم، وجواد، وشجاع، وغنى وكان المخاطب لا يعلم ذلك أولا يقرَّ به، ويعجب من اجتماع هذه الصفات فى رجل فإذا قلت : زيدُ عالم وكان ذهنه استبعد ذلك فتقول : وجواد أى وهو مع ذلك جواد فإذا قدرت استبعاده لذلك قلت : وشجاع أى : وهو مع ذلك شجاع، وغنى فيكون فى العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه تدرأ به توهم الإنكار [١]

وإذا عرفت هذا فالوهم قد يعتريه إنكار اجتماع هذه المقابلات فى موصوف واحد.....

(١) البدائع ١/١٥٦-١٥٧ .

فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدال على أنَّ الموصوف بالأولية هو الموصوف بالآخرية فكأنه قيل هو الأول، وهو الآخر، وهو الظاهر، وهو الباطن لا سواه [١]

وقال الزمخشرى : فإن قلت : فما معنى الواو، قلت الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور، والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين، ومجموع الصفتين الأخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الأوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر، وباطن جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس. [٢]

وهكذا فالواو هنا تفيد قطع الوهم، وتأكيد الوصف، والجمع بين الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى.

كذا ذكره فى قوله تعالى :﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾[٣]

قال السهيلى : إنما حسن العطف بين الاسمين الأولين لكونهما من صفات الأفعال، وفعله سبحانه فى غيره لا فى نفسه فدخل حرف

(١) نفسه ١٥٧/١ مختصرًا .
(٢) الكشاف ٤٢/٦-٤٣ ، والبحر المحيط ٢١٦/٨ ، وروح المعانى ١٦٦/٢٧ .
(٣) سورة غافر : من الآية (٣) .

العطف للمغايرة الصحيحة بين المعنيين، ولتنزلهما منزلة الجملتين لأنه يريد تنبيه العباد على أنه يفعل هذا، ويفعل هذا ليرجوه، ويُؤملَّوه ثم قال﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ نغير واو لأن الشدة راجعة إلى معنى القوة، والقدرة، وهى معنى خارج عن صفات الأفعال فصار بمنزلة ما تقدم من قوله ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، وكذلك قوله ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾، لأن لفظ ذى عبارة عن ذاته.... (١)

ويقول ابن القيم : وجوابه غير شاف، ولا كاف فإن شدة عقابه من صفات الأفعال، وطوله من صفات الأفعال ولفظ ذى فيه لا تخرجه عن كونه صفة فعل كقوله ﴿عزيز ذو انتقام﴾ (٤ – آل عمران) بل لفظ الوصف بغافر وقابل أدل من الوصف بذى لأنها بمعنى صاحب كذا.

وأما﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾، فدخل العاطف بينهما لأنهما فى معنى الجملتين، وإن كان مفردين لفظًا فهنا يعطيان معنى يغفر الذنب، ويقبل التوب أى هذا شأنه، ووصفه فى كل وقت فأتى بالاسم الدال على أن وصفه، ونعته المتضمن لمعنى الفعل الدال على أنه لايزال يفعل ذلك فعطف أحدهما على الآخر على نحو عطف الجمل

(١) بدائع الفوائد ١/١٥٧–١٥٨ مختصرًا ، ونتائج الفكر صـ٢٣٩–٢٤٠ .

بعضها على بعض ولا كذلك الاسمان الأولان، ولما لم يكن الفعل ملحوظًا فى قوله ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ إذ لا يحسن وقوع الفعل فيهما، وليس فى لفظ " ذى " ما يصاغ منه فعل جرى مجرى المفردين من كل وجه ولم يعطف أحدهما على الآخر كما لم يعطف فى العزيز العليم فتأمله فإنه واضح..... (١)

ومعنى كلام ابن القيم أن الصفات إذا ذكرت فى مقام التعداد فتارة يتوسطها حرف العطف وتارة تأتى بدون حرف العطف وعليه أية سورة الحديد وسورة غافر.

ومن هذا الباب ما يسمى عند النحاة بالواو الثمانية، وهذه الواو محل خلاف بين النحاة.

يقول ابن هشام : ذكرها جماعة من الأدباء كالحريرى ومن النحويين الضعفاء كابن خالوية ومن المفسرين كالثعلبى إيذانًا بأن السبعة عدد تام وأن ما بعدها مستأنف (٢) ومن الآيات فى هذا الشأن قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (٣)

---

(١) بدائع الفوائد ١٥٨/١ .

(٢) المغنى٤١٧/٢-٤١٨ ، وانظر المسائل النحوية فى كتاب بدائع الفوائد رسالة دكتوراه صـ٦٣٩-٦٥٠ للدكتورة/سامية سيد أحمد رحمها الله وغفر لها وطيب ثراها .

(٣) سورة الكهف : من الآية (٢٢) .

قيل المراد إدخال الواو لأجل الثمانية، وهذا محتمل أمرين أحدهما هذا والثانى أن يكون دخول الواو هاهنا إيذانًا بتمام كلامهم عند قولهم سبعة ثم ابتدأ قوله، وثامنهم كلبهم، وذلك يتضمن تقرير قولهم سبعة كما إذا قال لك (زيد فقيه) فقلت :- نحوى، وهذا اختيار السهيلى، وقد تقدم الكلام عليه وإن هذا إنما يتم إذا كان قوله، وثامنهم كلبهم ليس داخلاً فى المحكى بالقول والظاهر خلافه، والله أعلم (١)

وقال الزمخشرى : وفائدة هذه الواو تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هى التى أذنت بأن الذين قالوا سبعة، وثامنهم كلبهم قالوه بين ثبات وطمأنينة نفس ولم يرجحوا بالظن كغيرهم (٢)

وهذه الآية فيها عدة وجوه :

الأول : أنها واو الثمانية وهو قول ابن خالويه وغيره وذلك لأن السبعة عند العرب أصل فى المبالغة فى العدد قال تعالى ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾(٣)، وإذا كان كذلك فإذا

(١) بدائع الفوائد ٣/٤٤-٤٥ .
(٢) الكشاف ٢/٤٧٨-٤٧٩ .
(٣) سورة التوبة : من الآية (٨٠) .

وصلوا إلى الثمانية ذكروا لفظًا يدل على الاستئناف فقالوا : ، وثمانية فجاء هذا الكلام على هذا القانون [١]

الثانى : أن دخول الواو يدل على تمام القصة وانقطاع الكلام [٢]

الثالث : أن الواو فى قوله تعالى ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً من المعرفة، وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف وأن اتصافه بها ثابت مستقر وهذا رأى الزمخشرى ورَدَّه ابن مالك[٣]

ويقول ابن جنى بحذف الواو من الأول للدلالة عليها يقول : وثامنهم كلبهم إلا أن الواو حذفت من الجملتين المتقدمتين لأن الذى فيهما من الضمير يعقدهما بما قبلهما...لاسيما، وقد ظهرت الواو فى الجملة الثالثة فدل ذلك على أنها مرادة فى الجملتين المتقدمتين [٤]

وعلق ابن القيم قائلاً : وكل هذه الأجوبة غير سديدة وأحسن ما يقال أن الصفات إذا ذكرت فى مقام التعداد فتارة يتوسط بينهما حرف العطف لتغايرها فى نفسها وللإيذان بأن المراد ذكر كل صفة بمفردها، وتارة لا يتوسطها العاطف لاتحاد موصوفها، وتلازمها فى

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ١٠٦/٢١ .
(٢) راجع إعراب القرآن للنحاس ٤٥٣/٢ .
(٣) راجع الكلام السابق .
(٤) انظر سر صناعة الإعراب ٦٤٤/٢ .

نفسها وللإيذان بأنها فى تلازمها كالصفة الواحدة، وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ويحذف مع بعض بسبب هذين المقامين، فإذا كان المقام مقام تعداد الصفات من غير نظر إلى جمع، أو انفراد حسن إسقاط حرف العطف وإن أريد الجمع بين الصفات، أو التنبيه على تغايرها حسن إدخال العطف، فمثال الأول ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾ (١)، ومثال الثانى قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ (٢)

وتأمل كيف اجتمع النوعان فى قوله تعالى ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾(٣)، فأتى بالواو فى الوصفين الأولين، وحذفها فى الوصفين الآخرين لأن غفران الذنب، وقبول التوب قد يظن أنهما يجريان مجرى الوصف الواحد لتلازمهما فمن غفر الذنب قبل التوب، فكان فى عطف أحدهما على الأخر ما يدل على أنهما صفتان، وفعلان متغايران ومفهومان مختلفان لكل منهما حكمة..... (٤)

---

(١) سورة التوبة : من الآية (١١٢) .
(٢) سورة الحديد : من الآية (٣) .
(٣) سورة غافر : من الآية (١: ٣) .
(٤) بدائع الفوائد ٣/٤٢-٤٤ مختصرًا .

وقال عن واو الثمانية : « وقولهم إن الواو تأتى للثمانية ليس عليه دليل مستقيم »[١]

(١) نفسه ٣/٤٢ .

المسألة السادسة : الفاء العاطفة ومعناها

الفاء العاطفة تفيد الترتيب والتعقيب عند جمهور النحاة وزعم الكوفيون أن الترتيب لا يلزم فيها أحياناً وبما يقوى ذلك مجيئها فى بعض الآيات التى ذكرها المفسرون والنحاة.

يقول السهيلى : وأما الفاء فهى موضوعة للتعقيب، وقد تكون للتسبب والترتيب، وهما راجعان إلى معنى التعقيب، لأن الثانى بعدهما أبدًا إنما يجئ فى عقب الأول، والتسبب نحو ضربته فبكى، والترتيب مثل قوله سبحانه وتعالى ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[1] دخلت الفاء لترتيب اللفظ لأن الهلاك يجب تقديمه فى الذكر لأن الاهتمام به أولى وإن كان مجئ البأس قبله فى الوجود، مثله :

إنَّ من ساد ثم ساد أبُوهُ ثم قد ساد بعد ذلك جده[2]

دخلت ثم لترتيب الكلام لا لترتيب المعنى فى الوجود .

---

(١) سورة الأعراف : من الآية (٤) .

(٢) البيت من الخفيف وهو لأبى نواس فى ديوانه صـ٤٩٣ وروايته :

إنَّ من ساد ثم ساد أبُوهُ ثم قد ساد بعد ذلك جدو

فتكون ثم فى البيت على هذه الرواية على أصلها من إفادة للترتيب فى اللفظ والمعنى وهذا هو الأصل فيها ، راجع ديوانه صـ٤٩٣ ، والخزانة ٤/٤١١ وشواهد المغنى صـ١٢٥.

وأما قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، فالفاء على أصلها من التعقيب، وإن كانت الاستعاذة قبل القراءة إلا أن العرب تعبر بالفعل عن ابتدائه تارة، وتعبر به عن انتهائه، والفراغ منه أخرى فعلى هذا يكون معنى " قرأت " فى الآية أى شرعت فى القراءة وأخذت فى أسبابها، ونحو منه ما جاء في الحديث من قوله « فصلى الصبح حين طلع الفجر»[١] يريد ابتداء الصلاة، وأما قوله " ثم صلاها من الغد بعد أن أسفر"، يريد الفراغ منها[٢]

ذكر كلامه ابن القيم وقال : وعندى فى الآية تقديران آخران أحسن من هذا، أحدهما : أن يكون المراد بالإهلاك إرادة الهلاك وعبر بالفعل عن الإرادة وهو كثير فترتب مجئ البأس على الإرادة ترتيب المراد على الإرادة.

والثانى : وهو ألطف أن يكون الترتيب ترتيب تفصيل على حملة فذكر الإهلاك ثم فصّله بنوعين أحدهما مجئ البأس بياتًا أى ليلاً، والثانى مجيئه وقت القائلة وخص هذين الوقتين لأنهما وقت راحتهم وطمأنينتهم فجاءهم بأس الله أسكن ما كانوا، وأروحه فى وقت

(١) أخرجه عبد الرازق عن عمرو بن حزم ، انظر نصب الراية ٢٢٥/١ ، وهامش النتائج صـ٢٥١ .
(٢) نتائج الفكر ٢٥٠-٢٥١ مختصرًا .

طمأنينتهم، وسكونهم على عادته سبحانه تعالى فى أخذ الظالم فى وقت بلوغ أماله وكرمه وطرحه وركوته إلى ما هو فيه....

وأما قوله تعالى﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، فعلى ما ذكرنا من التعبير عن إرادة الفعل بالفعل هذا هو المشهور وفيه ألطف من هذا، وهو أن العرب تعبر بالفعل عن ابتداء الشروع فيه تارة وتعبر عن انتهائه تارة فيقولون فعلت عند الشروع، وفعلت عند الفراغ وهذا استعمال حقيقة وعلى هذا فيكون معنى قرأت فى الآية ابتداء الفعل أن إذا أشرعت، وأخذت فى القراءة، فاستعذ فالاستعاذة مرتبة على الشروع الذى هو مبادئ الفعل، ومقدمته، وطليعته ومنه قوله « فصلى الصبح حتى طلع الفجر » أى أخذ فى الصلاة عند طلوعه .

وأما قوله ثم صلاها من الغد بعد أن أسفر، فالصحيح أن المراد به الابتداء، وقالت طائفة، المراد الانتهاء منهم السهيلى، وغلطوا فى ذلك والحديث صريح فى أنه قدمها فى اليوم الأول، وآخرها فى اليوم الثانى ليبين أول الوقت وآخره[١]

(١) بدائع ١/١٦٠-١٦١ مختصرًا .

وإذا تتبعنا المسألة عند النحاة والمفسرين نجد أن القول بإفادة الفاء الترتيب هو مذهب جمهور البصريين[١]، وزعم الكوفيون أن الترتيب لايلزم فيها، واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾، قالوا اليأس فى الوجود واقع قبل الإهلاك وهو فى الآية مؤخر وهو عند البصريين مؤول تقديره، وكم من قرية أردنا إهلاكها، فجاءها بأسنا فهلكت.... [٢]

وقال الفراء : يقال إنما أتاها البأس من قبل الإهلاك فكيف تقدم الهلاك، قلت لأن الهلاك، والبأس يقعان معًا.....، وإن شئت كان المعنى وكم من قرية أهلكناها فكان مجئ البأس قبل الإهلاك فأظهرت كان، وإنما جاز ذلك على شبيه بهذا المعنى.... وقوله : أهلكناها فجاءها قد يكون خبرًا بالواو : أهلكناها ، وجاء البأس بياتًا [٣]

وهذا كلام مردود لكلام الزمخشرى حيث قال : « فإن قلت : فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا، والإهلاك إنما هو بعد مجئ

(١) راجع المقتضب١/١٠ ، والأصول ٢/٥٥ ، والمغنى ١/١٨٣ ، والتصريح٢/١٣٩ ، وشرح الرضى٤/٣٨٥ .
(٢) رصف المبانى للمالقى صـ٣٧٧ .
(٣) معانى القرآن للفراء ١/٣٧١-٣٧٢ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، محمد على النجار طـ الهيئة المصرية ١٩٨٠م .

البأس، قلت معناه أردنا إهلاكها كقوله ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾[١]»[٢]

ومما سبق نفهم أن اختلاف العلماء فى هذه الآية يرجع إلى اختلافهم فى معنى الفاء هل هى تفيد الترتيب أم لا والأصح أن تحمل على إرادة الفعل أو هو من باب عطف المفصل على المجمل فذكر الإهلاك أولاً ثم فصله بنوعين وهما مجيئه بياتًا أى ليلاً أو وقت القائلة أو نهارًا.

وهذا وجه ارتضاه الكثير من النحاة وقدمه ابن القيم لعدم التعسف فى إخراج معنى الآية.

وقد لخَصَ أبو حيان المسألة فقال : ويعقب مجئ البأس وقوع الإهلاك لا يتصور فلابد من تجوز إما فى الفعل بأن يراد به أردنا إهلاكها أوحكمنا بإهلاكها، وإما أن تختلف المدلول بأن يكون المعنى أهلكناها بالخذلان وقلة التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك، وإما أن يكون التجوز فى الفاء بأن تكون بمعنى الواو وهو ضعيف، أو تكون لترتيب القول فقط فكأنه أخبر عن عن قرى كثيرة، أنه أهلكها ثم قال فكان أمرها مجئ البأس، وقال الفراء إن الإهلاك هو مجئ البأس

(١) سورة المائدة : من الآية (٦) .
(٢) الكشاف ٦٧/٢ .

ومجئ البأس هو الإهلاك فلما تلازما لم يبال أيهما قدم فى الرتبة كما تقول شتمنى فأساء وأساء فشتمنى لأن الإساءة، والشتم شئ واحد وقيل توضأ فغسل كذا ثم كذا..... (١)

والذى يدل عليه أكثر النحاة كما قلت أن الترتيب فى فاء العطف قد يكون الترتيب الذكرى أى ترتيب الإخبار المفصل عن الجمل فالترتيب يرجع إلى معنى التعقيب والتسبب فيها وكلام ابن القيم ومن تبعه هو المقبول عندى لما ذكرنا فى كلامنا السابق

(١) البحر المحيط ٢٦٨/٤ ، طـ دار الفكر ١٣٩٨هـ .

المسألة السابعة : لكن وتخفيفها :

"لكن" مشدَّدة النون حرف ينصب ويرفع الخبر وفى معناها ثلاثة أقوال:- أحدها وهو مشهور أنه واحد، وهو الاستدراك، وهو أن يكون ما بعدها مخالف لحكم ما قبلها ، والثاني أنها ترد تارة للاستدراك وتارة للتوكيد ، والثالث – أنها للتوكيد دائماً مثل إن ... (١).

قال السهيلى وأما "لكن" فأصح القولين فيها أنها مركبة من لا وإن والكاف التى هي الخطاب فى قول الكوفيين(٢)،

وما أراها إلا كاف الشبيه لأن المعنى يدل عليها إذا قلت : (ذهب زيد لكن عمرو مقيم) تريد لا كفعل عمرو فلا لتوكيد النفى عن الأول، وإن لإيجاب الفعل الثانى وهو المنفى عن الأول لأنك ذكرت الذهاب الذى هو ضده فدل على انتفائه»(٣).

وقال ابن القيم عن كلام السهيلى : قلت : وفى هذا من التعسف والبعد عن اللغة والمعنى ما لا يخفى وأى حاجة إلى هذا بل هى حرف شرط موضوع للمعنى المفهوم منها ولا تقع إلا بين كلامين متنافيين، ومن هنا قال إنها ركبت من لا والكاف وإن، إلا أنهم لما

---

(١) المغنى ٤٧٥/١ مختصراً.
(٢) راجع الإنصاف ٢٠٩ فما بعضها مسألة زيادة اللام فى خبر "لكن".
(٣) راجع نتائج الفكر صـ٢٠٠-٢٠١ ، وبدائع الفوائد١٦٤/١-١٦٥ مختصرًا.

حذفوا الهمزة المذكورة كسروا الكاف إشعارًا بها، ولابد بعدها من جملة إذا كان الكلام قبلها موجبًا شددت نونها أو خففت لما كان ما قبلها منفيًا اكتفيت بالاسم المفرد بعدها إذا خففت النون لعلم المخاطب أنه لا يضاد النفى إلا الإيجاب فلما اكتفيت باسم مفرد، وكانت إذا خففت نونها لا تعمل صارت كحرف العطف فألحقوها بها...» (١)

فكلام ابن القيم قد ناقش أمرين أولهما : تركيب لكن، من لا وإن وكاف التشبيه، وثانيهما : إلغاؤها إذا خُففت نونها.

الأمر الأول : تركيبها وقد رماه ابن القيم بالتعسف والبعد عن اللغة حيث يرى أنها حرف بسيط يفيد الشرط وهو فى ذلك موافق للبصريين.

وقال الزبيدى : وهى بسيطة عند البصريين، وقال الفراء مركبة من لكن وأن فطرحت الهمزة للتحقيق ونون لكن الساكنين قال ولذا نصبت العرب بها إذا شددت نونها وقيل مركبة من لا والكاف..... (٢)

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٦٤-١٦٥ مختصرًا .
(٢) تاج العروس للزبيدى ٩/٣٣٩ .

وقال ابن يعيش : وأما لكن حرف نادر البناء لا مثال له فى الأسماء والأفعال وألفه أصل لأنه لا نعلم أحدًا يؤخذ بقوله ذهب إلى أن الألفات فى الحروف زائدة فلو سميت به لصار اسمًا وكانت ألفه زائدة، ويكون وزنه فاعلاً لأن الألف لا تكون أصلاً فى ذوات الأربع من الأفعال والأسماء(١)

وقال معلقًا على تركيبها : وذهب الكوفيون إلى أنها مركبة ، وأصلها إن زيدت عليها لا والكاف وهو قول حسن لندرة البناء وعدم النظير..... والمذهب الأول لضعف تركيب ثلاثة أشياء وجعلها حرفًا واحدًا ومعناها الاستدراك(٢).

وهذا الرأى هو الصحيح فإن تركيب الحرف من ثلاثة أشياء لا دليل عليه لديهم.

الأمر الثانى : إلغاء عملها بعد التخفيف.

يقول ابن القيم فيما نقل عن السهيلى، فإن قيل ولم إذا خففت لكن وجب إلغاؤها بخلاف إنَّ وأنْ وكأنْ، فإنه يجوز فيها الوجهان مع التخفيف كما قال :

كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارق السلم(٣)

---

(١) شرح المفصل ٨/٨٠ .

(٢) نفس المرجع ٨/٨٠-٨١ .

(٣) هذا البيت لابن صريم اليشكرى فى الكتاب ، وفى الأمالى للأرقم اليشكرى ، انظر الخزانة ١/٣٦٥، وشواهد المغنى ١/١١٢ وكأن مخففة

قلنا : زعم الفارسى أن القياس فيهن كلهن الإلغاء إذا خففن فلذلك ألزموا لكن إذا خففت الإلغاء تنبيهًا على أن ذلك هو الأصل فى جميع الباب.

وهذا القول مع ما يلزم عليه من الضعف والوهن ينكسر عليه بأخواتها فيقال له. فلم خُصت لكن بذلك دون إن وأن " وكأن " ولا جواب له على هذا .

قال السهيلي : وإنما الجواب فى ذلك أنها لما كانت مركبة من لا وإن ثم حذفت الهمزة اكتفاء بكسر الكاف بقى عمل " إن " لبقاء العلة الموجبة للعمل، وهى فتح آخرها وبذلك ضارعت الفعل....بخلاف أخواتها إذا خُفض فإن معظم لفظها باق فجاز أن يبقى حكمها على أن الأستاذ/أبا القاسم بن الرماك[١] رحمه الله قد أفادنى رواية عن يونس أن حكى الإعمال فى " لكن " مع تخفيفها وكان أبو القاسم رحمه الله يستغرب هذه الرواية....[٢]

واسمها محذوف والتقدير : كأنها ظبية هذا على رواية من رفع ظبية والشاهد فى البيت إعمال كأن مخففة فنصبت الاسم المحذوف ورفعت الخبر .

(١) ذكره ابن القيم ابن الرمان وهو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو القاسم الأموى الإشبيلى والنحوى المعروف بابن الرماك وكان أحد أعلام النحو والأدب فى عصر المرابطين توفى ٥٤١هـ ، انظر بغية الملتلمس ٣٤٦ ، وبغية الوعاة صـ٨٦ فما بعدها .

(٢) نتائج الفكر صـ٢٥٦-٢٥٧ .

وهذا يدل على أن إلغاء إعمالها ينبنى على تركيبها وزوال شبهها بالفعل عند السهيلى، ومن تبعه، وكلام ابن القيم يدل على إنكار تركيبها أصلاً.

ويرى سيبويه : إهمالها إذا خففت .

حيث يقول : « واعلم أنهم يقولون : «إن زيد لذاهب» « وإن عمرو خير منك» لما خففها جعلها بمنزلة لكنَّ حيث خففها »[١]،

وتبعه ابن الشجرى وغيره[٢]

وقال ابن يعيش : وكان يونس فيما حكاه عنه أبو عمرو يذهب إلى أن لكن إذا خففت كانت بمنزلة إنَّ وأن وكأنهما إذا خففا لم يخرجا عما كانا عليه قبل التخفيف فكذلك تكون لكن إذا خففت..... [٣]

وهذا يدل على أن إعمال لكن المخففة منسوب إلى يونس وإلى الأخفش فيما حكاه عنه ابن يعيش.

وعلل له قائلاً : « كأنه لما رأى لفظ لكن مخففة موافق لقول الثقيلة ومعناهما واحد فى الاستدراك جعلها منها وقاسها فى أخواتها من نحو أن وكأن إذا خففتا»[٤]

---

(١) الكتاب ٤٨١/١ ، وانظر ٢٨٣ طـ بولاق .
(٢) راجع المقتضب ٥١/١ ، وأمالى ابن الشجرى ١٧٨/٢ ، وشرح المفصل ١٠٦/٨ ، والجنى الدانى صـ٥٨٩ .
(٣) شرح المفصل ١٠٦/٨-١٠٧ .
(٤) نفس المرجع ١٠٧/٨ .

وقال ابن يعيش مستبعداً الإعمال مع التخفيف:- وفيه بعد لاحتياجه إلى إضمار الشأن والحديث والقول أنها محذوفة منها وليس البـــاب فى الحروف ذلك لأنه من قبيل التصرف والحق أنها أصل برأسه فإن الشيئين قد يتقاربا فى اللفظ والمعنى وليس أحدهما من الأخر.... (١)

ويبدوا أن إهمالها شبه إجماع من النحاة وإعمالها قليل.

قال المرادى [ت٧٤٩هـــ] « القول بإعمالها غير مسموع وأنه قـــد حكى عن يونس أنه حكاه عن العرب »(٢)

ونفهم ما سبق أن تركيب "لكن" أمر بعيد عند ابن القيم ومن وافقه وإذا خُففت فإلغاء عملها أكثر عند جمهور النحاة وإعمالهـــا قليـــل لايكاد يوجد.

وكلام ابن القيم عندي مقبول لأنه يتحرى الأسهل والأسهل البساطة والبعد عن التركيب.

❁❁❁❁❁

المسألة الثامنة : أسرار التقديم والتأخير فى بعض آيات القرآن الكريم :

(١) نفس المرجع ٨/١٠٧-١٠٨ .
(٢) الجنى الدانى صـــ٥٨٧ .

وهو فصل عظيم الفائدة أعجب ابن القيم بآراء السهيلى لمزايا التقديم[١] وأهميته ثم نقده في سر التقديم فى قوله تعالى﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [٢]

يقول السهيلى : ومما قدم للفضل قوله﴿ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾، لأن السجود أفضل قال ﷺ « أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجدًا»[٣]

فإن قيل فالركوع قبل السجود بالزمان وبالطبع والعادة لأنه انتقال من علو إلى انخفاض والعلو بالطبع قبل الانخفاض فهنا قدم فى الذكر على السجود لهاتين العلتين، فالجواب أن يقال لهذا السائل انتبه لمعنى هذه الآية من قوله " اركعى مع الراكعين "، ولم يقل "اسجدى مع الساجدين " فإنما غيَّر بالسجود عن الصلاة كلها وأراد صلاتها فى بيتها.....ثم قال لها " اركعى مع الراكعين " أى صلى مع المصلين فى بيت المقدس....[٤]

وقال ابن القيم : وأما قوله تعالى﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

---

(١) راجع بدائع الفوائد ١/٥١-٧٠ .
(٢) سورة آل عمران : الآية (٤٣) .
(٣) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة ، انظر الفتح الكبير ١/٢١٩.
(٤) نتائج الفكر صـ٢٧٢ مختصراً .

فقد أبعد النجعة فيما تعسفه من فائدة التقديم وأتى بما ينبو اللفظ عنه وقال غيره : السجود كان فى دينهم قبل الركوع وهذا قائل ما لا علم له به، والذى يظهر فى الآية، والله أعلم بمراده من كلامه أنها اشتملت على مطلق العبادة وتفصيلها فذكر الأعم ثم ما هو أخص منه ثم ما هو أخص من الأخص فذكر القنوت أولا وهو الطاعة الدائمة فيدخل فيه القيام والذكر والدعاء وأنواع الطاعة ثم ذكر ما هو أخص منه وهو السجود الذى يشرع وحده كسجود الشكر والتلاوة، ويشرع فى الصلاة فهو أخص من مطلق القنوت، ثم ذكر الركوع الذى لا يشرع إلا فى الصلاة فلا يسن الإتيان به منفرداً فهو أخص مما قلته ففائدة الترتيب النزول من الأعم إلى الأخص منه ، وهما طريقتان معروفتان فى الكلام النزول من الأعم إلى الأخص وعكسها وهو الترقى من الأخص إلى ما هو أعم منه إلى ما هو أعم ونظيرها :- قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾[1]، فذكر أربعة أشياء أخصها الركوع ثم السجود أعم منه ثم العبادة أعم من السجود ثم فعل الخير العام المتضمن لذلك كله..... [2]

وهذا تخريج من ابن القيم عال الدقة ويدل على وعيه الشديد باللغة.

(١) سورة الحج : من الآية (٧٧) .
(٢) بدائع الفوائد ٦٧/١ .

المسألة التاسعة : حذف التاء وتركها فى قوله تعالى

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾[١] وقوله سبحانه ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾[٢]

قال السهيلى : « والأصل فى هذا الباب أن الفعل متى اتصل بفاعله ولم يحجز بينهما حاجز لحقت التاء علامة التأنيث كما يقول : جاءت المرأة.....

فإذا فصلت الفعل عن فاعله فكلما بعد عندى قوى حذف العلامة منه قالوا حضر القاضى اليوم امرأة)، وفى القرآن ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾.....

فإن قيل فإذا استوى ذكر التاء وتركها فى الفعل المفصول عن الفاعل المؤنث فما الحكمة لاختصاصها فى الفعل فى قصة شعيب فى قوله تعالى ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾، وحذفها فى قصة صالح فى قوله ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾.

فالجواب أن الصيحة فى قصة صالح فى معنى العذاب والخزى، إذ كانت منتظمة بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٖۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(١) سورة هود : من الآية (٦٧) .
(٢) سورة هود : من الآية (٩٤) .

ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [١]، فصارت الصيحة عبارة عن ذلك الخزى وعن العذاب المذكور فى الآية فقوى التذكير بخلاف الآية الأخرى والله أعلم [٢].

قال ابن القيم : « وهذا جواب السهيلى وعندى فيه جواب أحسن من هذا إن شاء الله وهو أن الصيحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح فيحسن فيها التذكير ويراد بها الواحدة من المصدر فيكون التأنيث أحسن

وقد أخبر تعالى عن العذاب الذى أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور كلها مؤنثة اللفظ:

أحدهما : الرجفة فى قوله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[٣]

الثانى : الظلة، بقوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾[٤]

الثالث : الصيحة ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾[٥].

---

(١) سورة هود : من الآية (٦٦) .
(٢) نتائج الفكر صـ١٦٨-١٧٠ مختصرًا .
(٣) سورة الأعراف : من الآية (٧٨) .
(٤) سورة الشعراء : من الآية (١٨٩) .
(٥) سورة هود : من الآية (٩٤) .

وجمع لهم بين الثلاثة فإن الرجفة بدأت بهم فأصبحوا إلى الفضاء خوفًا من سقوط الأبنية عليهم، فصهرتهم الشمس بحرها، ورفعت لهم الظلة فأهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس، فنزل عليهم منها العذاب، وفيه الصيحة، فكان ذكر الصيحة مع الرجفة، والظلة أحسن من ذكر الصياح وكان ذكر التاء والله أعلم..... (١)

فالسهيلى وابن القيم جعلا الأصل إلحاق علامة التأنيث للفعل المسند إلى مؤنث حقيقى أو مجازى وهذا محل إجماع من النحاة (٢)،

أما إذا فصل بين الفعل والفاعل المؤنث بفاصل فيرى أكثر النحاة أن ترك التاء أحسن وكلما طال الفصل كان الحذف أجود وأحسن.

قال سيبويه : وكلما طال الكلام فهو أحسن نحو قوله : (حضر القاضى امرأة) لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل وكأنه شئ يغير بدلاً من شئ..... (٣)

وقال النحاس : أنه ذكر الفعل لأن الصيحة والصياح واحد..... (٤)

أى أن الصيحة مصدر بمعنى الصياح.

---

(١) بدائع الفوائد ١٠٣/١-١٠٤ مختصرًا .
(٢) انظر المقتضب ١٤٨/٢ ، والمقرب٣٠٢/١ ، وجمل الزجاجى٥٥٠/٢ ، وشرح الكافية ٣٤١/٣.
(٣) راجع الكتاب ١٣٨/٢ ، وانظر شرح الكافية ٣٤١/٣ ، وشرح الجمل ٥٥/٢ ، والمقرب ٣٠٢/١ لابن عصفور .
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٢٣/١ .

وقال الباقولى : أنه جاء بالتاء فى قصة شعيب وتركها فى قصة صالح لأن الفعل إذا حصل فإنَّ ترك العلامة يزداد حسنًا ولكنَّ الوجهين إنما جاء فى التنزيل طلبًا للمشاكلة والمطابقة فقد جاء ها هنا " وأخذت " لأن بعدها ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾(١).....(٢)

ويقول أبو البركات الأنبارى : إنما قال أخذ بحذف التاء لثلاثة أوجه :

الأول : أنه فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وهو "الذين ظلموا ".

والثانى : لأن تأنيث الصيحة غير حقيقى.

والثالث :محمول على المعنى لأن الصيحة فى معنى الصياح كقوله تعالى ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(٣)، ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ جاء بالتاء هاهنا على الأصل، ولم يعتد بالفصل بالمفصول به بين الفعل والفاعل مانعًا منه، وإن كان يزداد ترك العلامة حسنًا،

(١) سورة هود : من الآية (٩٥) .
(٢) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات لجامع العلوم للباقولي ت ٥٤٣هـ ٥٩/١ ، وانظر البرهان صـ١٤٦ ، ولسان العرب "صيح" ٢٥٣٢/٢٨ .
(٣) سورة البقرة : من الآية (٢٧٥) .

والوجهان جيدان وجاء بهما القرآن وكأنه جئ بالتاء هنا طلبًا للمشاكلة لأن بعدها كما بعدت ثمود [١]

المسألة العاشرة : تعدى الفعل ولزومه

فى مثل: كلت لزيد ووزنت له.

اختلف النحاة فى هذا النوع من الأفعال على أربعة مذاهب:-

الأول: أن هذه الأفعال يتعدى بنفسها تارة، وبحرف الجر تارة أخرى،تقول كلته وكلت له

قسم ابن عصفور وغيره الأفعال فى التعدى إلى المفعول إلى ثلاثة أقسام: ما يتعدى إلى واحد بنفسه نحو : ضربت زيدًا، ومنها ما يتعدى إليه بحرف الجر نحو مررت بزيد، وقسم يتعدى إلى واحدة تارة بنفسه وتارة بحرف الجر مثل : نصحت زيدًا ونصحت له، ولا سبيل إلى معرفته إلا بالسماع

وقال ابن الربيع : وهذه أفعال مسموعة تحفظ ولا يقاس عليها، كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[٢]، أخذ أبو القاسم

(١) البيان في غريب القرآن ٢/٢٠-٢٧ مختصرًا .
(٢) سورة المطففين : من الآية (٣) .

هذه الآية على أن " هم " مفعولة لكال، والتقـدير " وإذا كـالوا أو وزنوا وتقول: كلتك وكلت لك..... (١)

المذهب الثانى : أن هذه الأفعال تتعدى بحرف الجر ثم قد يحذف حرف الجر فينصب الفعل بنفسه ، يقـول المبـرد ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾، إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، وذلك لأن أول الآية ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾(٢).....(٣)

وتبعه غير واحد من المفسرين والنحاة (٤)

المذهب الثالث : أن هذه الأفعال متعدية لمفعولين أحدهما حرف الجر والأخر بنفسه وهو منسوب إلى ابن درستوية فيما نقله ابن عصفور عنه حيث قال :« وزعم ابن درستورية أن نصحت مـن بـاب مـا يتعدى إلى مفعولين أحدهما، بنفسه والأخر بحرف الجر الأصل : (نصحت لزيد رأيه) ..... (٥)

(١) البسيط فى شرح الجمل ٤٦٤/١-٤٦٥ .
(٢) سورة المطففين : الآية (٢) .
(٣) المقتضب ٣٣٨/٤ .
(٤) راجع معانى القرآن للفـراء ٢٤٥/٣-٢٤٦ ، وإعـراب القـرآن للنحـاس ١٧٤/٥ .
(٥) راجع شرح الجمل ٢٧٥/١ ، والارتشاف ٢٨٨/٤ ، والهمع ٩/٥ .

ثم حذف المفعول الذى، يصل إليه لفهم المعنى، وهذا المذهب اختاره عبد القاهر الجرجانى [١] والسهيلى وابن القيم كما نوضح المسألة

قال أبوحيان:- ووزن الأصل فيهما حرف الجر فتقول كلت لزيد ووزنت له ومفعولهما غير وإنما هو ما يكال ويوزن ولكن إذا قيل: "كلت لزيد " كان الطعام خاصة، وإذا قيل كلت زيد كان الكيل والوزن مضمنا معنى المبايعة والمعاوضة، والمعنى "بايعت زيدًا بالكيل والميزان" فلما خرج الفعلان من معنى الكيل والوزن على معنى المبايعة والمعاوضة حذف حرف الجر على جهة التضمين.

المذهب الرابع : أن أصل هذه الأفعال تعديها بنفسها وحرف الجر زائد وهذا المذهب مردود [٢]

والمذهب الثالث يراه السهيلى وابن القيم، وإليك كلامهما :

يقول السهيلى : « وأما "كلت لزيد ووزنت له" فمفعولهما غير زيد لأن مطلوبهما ما يكال أو يوزن فالأصل دخول اللام ثم قد يحذف لزيادة فائدة لأن كيل الطعام ووزنه يتضمن معنى المبايعة والمعاوضة إلا مع حرف اللام فإن قلت : " كلت لزيد" أخبرت بكيل الطعام خاصة وإذا قلت : كلت زيدًا فقد أخبرت بمعاملة ومبايعة مع

(١) راجع المقتصد ٦١٦/١ ، وشرح الجمل ٢٧٥/١ فما بعدها .
(٢) راجع أبو حيان فى الارتشاف ٢٠٨٨/٤ ، والسيوطى فى الهمع٥/٩ .

الكيل كأنك قلت : بايعت زيدًا بالكيل، والوزن قال الله تعالى﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى بايعوهم كيلاً ووزنًا....». (١)

وقال ابن القيم : « وفيه فرق أحسن من هذا وهو أنّ الاكتساب يستدعى التعمل والمحاولة والمعاناة فلم يجعل على العبد إلا ما كان من هذا القبيل الحاصل بسعيه ومعاناته وتعمله، وأما الكسب فيحصل بأدنى ملابسة حتى بالهمَّ بالحسنة ونحو ذلك، فخص الشر بالاكتساب والخير بأعم منه ففى هذا مطابقة للحديث الصحيح « إذا همَّ عبدى بحسنة فاكتبوها وإنْ همَّ بسيئة فلا تكتبوها »(٢).....» (٣)

وقال أبو حيان قبل ابن القيم : « وأما قوله ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فإنما دخلت " على " لتؤمن أنّ الكيل على البائع للمشترى ودخلت التاء فى " اكتالوا " لأن افتعل فى هذا الباب كله للأخذ لأنَّها زيادة على الحروف الأصلية تؤذن بمعنى زاد على معنى الكلمة لأن الأخذ للشئ كالمبتاع، والمكتال، والمشترى، ونحو ذلك يدخله فعله من التناول والاحتراز إلى نفسه، والاحتمال إلى رحله ما لا يدخل فعل المعطى والبائع ولهذا قال سبحانه :﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾(٤)، بمعنى من

(١) نتائج الفكر صـ٣٥٣ .
(٢) راجع صحيح ابن حيان ١٠٤/٢ .
(٣) بدائع الفوائد صـ٢٣٣-٢٣٤ ، وراجع محاسن التأويل ٧٣١/٣-٧٣٢ .
(٤) سورة البقرة : من الآية (٢٨٦) .

الحسنات﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، بمعنى من السيئات، لأن الذنوب يوصل إليها بوساطة الشهوة والشيطان، والحسنة تنال بهبة من الله تعالى من غير وساطة شهوة، ولا إغواء فهذا الفرق بينهما »[١]

وقال : فإن قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت فى الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى متميز به إليه وأمارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال..... [٢]

❁❁❁❁❁

(١) البحر المحيط ٢/٣٨١-٣٨٢ ، وراجع الدر المصون ٢/٦٩٩ .
(٢) البحر المحيط ٢/٣٨٢ مختصرًا .

المسألة الحادية عشر : إفراد الخبر وجمعه بعد " كل " :

يقول السهيلى مقسماً " كل": « الكلام فى كل فى ثلاثة فصول فى كونه توكيدًا وفى كونه مبتدأ مضافًا وفى كونه مفردًا عن الإضافة مخبرًا عنه....وأما الفصل الثالث : وهو أن تكون مقطوعة عن الإضافة مفردة مخبرًا عنها فحقها أن تكون ابتداء ويكون خبرها جمعًا ولابد من مذكورين قبلها لأنها إن لم يذكر قبلها جملة ولا أضيفت إلى جملة بطل معنى الإحاطة فيها ولم يعقل لها معنى وإنما وجب أن يكون خبرها جمعًا لأنها اسم فى معنى الجمع فتقول : كل ذاهبون..... والشاهد لما قلناه، قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1]،﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾[2]، ﴿ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[3] فإن كانت مضافة إلى ما بعدها فى اللفظ لم نجد خبرها إلا مفردًا للحكمة التى قدمناها قبل وهى أن الأصل إضافتها إلى النكرة المفردة، فتقول : «كل إخوانك ذاهب» أى كل واحد منهم ذاهب ولم يلزم ذلك حين قطعتها عن الإضافة فقلت كلهم ذاهبون.....

(١) سورة يس : من الآية (٤٠) .
(٢) سورة الأنبياء : من الآية (٩٣) .
(٣) سورة الأنفال: من الآية (٥٤) .

فإن قيل : فقد ورد فى القرآن موضعان أفرد فيهما الخبر عن " كل " وهى غير مضافة إلى شئ بعدها وهما قوله تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾[١] ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾[٢]

ولم يقل كذبوا.

فالجواب أن فى هاتين الآيتين قرينة تقتضى تخصيص المعنى بهذا اللفظ دون غيره أما قواه تعالى﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ فلأن قبلها ذكر فريقين مختلفين وذكر مؤمنين وظالمين.....

وأما قوله تعالى ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ فلأنه ذكر قرونًا وأمماً وختم بذكر قوم تبع فلو قال " كل كذبوا " وكل إذا أفردت إنما تعتمد على أقرب المذكورين إليهما فكان يذهب الوهم إلى أن الإخبار عن قوم تبع خاصة أنهم كذبوا الرسل فلما قال﴿كُلٌّ كَذَّبَ ﴾ علم أنه يريد كل قرن منهم " كذب ".....[٣]

وذكر ابن القيم كلام السهيلى وقال : « وقال تعالى﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾[٤]، فجمع لما أريد الاجتماع فى المجئ وهذا أحسن مما

(١) سورة الإسراء : من الآية (٨٤) .
(٢) سورة ق : من الآية (١٤) .
(٣) نتائج الفكر صـ٢٧٦-٢٨٠ مختصرًا .
(٤) سورة الأنبياء : من الآية (٩٣) .

يقدم من الفرق فتأمله....ونظيره فى سورة " ق" ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾، وتأمل كيف كشف قناع هذا المعنى وأوضحه كل الإيضاح بقوله تعالى ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[1] كيف أفرد آتيه لما كان المقصود الإشارة إلى أنهم وإن أتوه جميعًا فكل واحد منهم منفرد عن كل فريق من صاحب أو قريب أو رفيق بل هو وحده منفرد فكأنه إنما أتاه وحده وإن أتاه مع غيره لانقطاع تبعيته للغير وانفراده بشأن نفسه فهذا عندى أحسن من الفرق بالإضافة وقطعها والفرق بذلك فرقة السهيلى رحمه الله فتأمل الفرقين واستقر الأمثلة والشواهد [2].

❁❁❁❁❁

(١) سورة مريم : الآية (٩٥) .
(٢) بدائع الفوائد ١/١٧٧ مختصرًا .

المسألة الثانية عشر : حذف أحد مفعولى " أظن – أعلم " :

قال السهيلى : ذكر سيبويه[١] أنه لا يجوز الاقتصار على المفعول الأول وتأول أصحابه قوله قالوا : لا يجوز " لا يحسن " لأن المعمول الأول هو الفاعل فى المعنى والفاعل يجوز الاقتصار عليه فتقول : عُلِم زيدُ " وإنما الذى لا يجوز الاقتصار عليه المفعول الثانى الذى هو الأول قبل النقل.....

وقال : وعندى أن كلام سيبويه محمول على الظاهر، لأنك لا تريد بقولك : أعلمت زيدًا أى جعلته عالمًا على الإطلاق هذا محال إنما تريد أعلمته بهذا الحديث فلابد إذا من ذكر الحديث الذى أعملته به.

فإن قيل : فهل يجوز أظننت زيدًا عمرًا قائمًا كما يقول أعلمت.

قلنا : الصحيح امتناعه لأن الظن إن كان بعد علم والعلم ضرورى فمحال أن يرجع ظنًا وإن كان العلم نظريًا لم يرجع العالم إلى الظن إلا بعد النسيان أو الذهول عن ركن من أركان النظر وهذا ليس من فعلك أنت به فهذا تقول : أظننته بعد أن كان عالمًا وإن كان قبل

---

(١) إشارة إلى قول سيبويه ، وهذا باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى ثلاثة مفعولين.....ولا يجوز أن تقتصر على مفعول منهم واحد دون الثلاثة لأن المفعول ههنا كالفاعل فى الباب الأول الذى قبله فى المعنى وذلك قولك

أرى الله بشرًا زيدًا وأعلم الله زيدًا عمرًا خير منك"

انظر الكتاب ٤/١ وتبعه المبرد وغيره راجع المقتضب ١٢٢/٣ ، وشرح الجمل ٢٩٤/١ .

الظن شاكًا أو جاهلاً أو غافلاً لم يتصور أيضًا أن تقول : " أظننته " لأن الظن لا يكون عن دليل يوقفه عليه، أو خبر صادق يخبره بـــه كما يكون العلم لأن الدليل لا يقتضى ظنًا ولا يقتضيه أيضًا شبهة كما بينه أصحاب الأصول فثبت أن الظن لا تفعله أنت به، ولا تفعل شيئًا من أسبابه فلم يجز أظننته أى جعلته ظانًا وكذلك يمتنع " أشككته من الشك أى جعلته شاكًا ولكنهم قد يقولون " شككته إذا حدثته بحديث يصرفه عن حال الظن إلى حال الشـــك فلـــذلك جـــاء علـــى وزن حدثته...." (١)

وقال ابن القيم معترضًا : هذا كلام السهيلى وليس الأمر كما قال ولا فرق بين أعلمته و أظننته إلا من جهة السماع وأما الجواب عمـــا ذكرتاه فيقال : ما المانع أن يكون أظننته أى جعلته ظانًا بعد أن كان جاهلاً أو شاكًا مما ذكرته له من الإمارات والأدلة الظنية وقولـــك : إن الظن لا يكون عن دليل يوقفه عليه أو خبر صـــادق يخبـــر بـــه دعوى مجردة بل ظاهرة البطلان فإن الظن هو الرجحان، فإذا ذكرت له أمارة ظاهرة لاتوجب اليقين أفادته الرجحان وهو الظن وهذا كما إذا أخبرك من يثير خبره لك ظنًا راجحًا ولا ينتهى إلى قطع كالشاهد وغيره فدعوى أن الظن لا يكون عن دليل دعوى باطلة، وإن أردت

(١) نتائج الفكر صـــ٣٥٠-٣٥١ .

أنه لا يكون عن دليل قاطع لم يفدك شيئًا، فإنه يكون عن إمارة تحصل له، ولا يلزم من كون الدليل لا يقتضى الظن إلا تقتضيه الإمارة ، وقوله. فثبت أن الظن لا تفعله أنت ولا تفعل شيئًا من أسبابه يقال وكذلك العلم لم تفعله أنت به ولا شيئًا من أسبابه إن أردت أنك لم تُحدثه فيه وإن أردت أنك لم تتسبب إلى حصوله فيه فباطل فإن ذكر الأمارات والأدلة الظنية سبب إلى حصول الظن له، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى تقريره، ويدل عليه قولهم شككته فإن معناه أحدثت له شكًا بما ذكرته له من الأمور التى تستلزم شكه[١] .

وهذا يدل على أنه لا فرق بين أعلمته وأظننته إلا من جهة السماع كما ذكر ابن القيم .

وقد أجاز أكثر النحاة حذف المفعول الأول استغناء عنه كـ "أعلمت كبشك ثمينًا " .... والجواب مما ذهب إلى سيبويه من عدم جواز الاقتصار على مفعول واحد من الثلاثة من باب أعلمت من غير دلالة على المحذوف لئلا يؤدى ذلك إلى إلتباس أعلمت المتعدية إلى ثلاثة بأعلمت المتعدية إلى اثنين من علمت بمعنى عرف [٢] ، وأرى أن الحذف إذا دل عليه دليل فلا لبس.

---

(١) بدائع الفوائد ٢٤٣/١-٢٤٤ .

(٢) راجع شرح المفصل ٦٦/١ ، والمقتصد ٦٢٩/١ ، شرح الكافية الشافية ٥٧٣/٢ .

المسألة الثالثة عشر : مجئ الحال غير مشتقة " الحال الموطئة " :

قد تأتي الحال غير مشتقة وتكون موطئة وقد تأولها أكثر النحاة فى معنى المشتق.

يقول السهيلى عن أقسام الحال : إذا كانت صفة لازمة للاسم كان جملها عليه على وجهة النعت أولى بها، وإذا كانت مساوية للفعل غير لازمة للاسم إلا فى وقت الإخبار عنه بالفعل صلح أن تكون حالاً، لأنها مشتقة من التحول فلا تكون إلا صفة يتحول عنها وكذلك لا تكون إلا مشتقة من فعل لأن الفعل حركة غير ثابتة وقد تجئ غير مشتقة ولكنها فى المعنى كالمشتق نحو قوله ﷺ « يتمثل لى الملك رجلاً »[1] أى يتحول من حال إلى حال..... وأما قولهم جاء زيد رجلاً صالحًا فالصفة وطأت الاسم للحال ولولا صالحًا وكذلك قوله تعالى ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾[2]

فإن قيل فكيف يصح فى قوله ﷻ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ أن يكون حالاً والحال تعطى التحول، والانتقال إليها عن حالة أخرى وأنت لو قلت : (جاء زيد قرشيًا أو حبشياً) لم يجز لأنه لم يزل كذلك.

---

(١) أخرجه البخارى فى حديث بدء الوحى ١/١-٣ .
(٢) سورة الأحقاف : الآية (١٢) .

فالجواب أن قوله ﷻ ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير فى " مصدق " لا من كتاب لأنه نكرة والعامل فى الحال ما فى " مصدق " من معنى الفعل فصار المعنى : أنه مصدق لك فى هذه الحال والاسم الذى هو صاحب الحال، قديم وقد كان غير موصوف بهذه الصفة حين أنزل معناه لا لفظه على موسى وعيسى وداود عليهم السلام وإنما كان عربيًا حين أنزل على محمد ﷺ مصدقًا له ولما بين يديه من الكتاب فقد أوضحت فيه معنى الحال ويرح الإشكال(١)

ويعترضه ابن القيم فيقول : « قلت كلا بل زدت الإشكال إشكالاً، وليس معنى الآية ما ذهبت إليه، وإنما " لسانًا عربيًا " حال من كتاب وصح انتصاب الحال عنه مع كونه نكرة لكونه قد وصف، والنكرة إذا وصفت انتصب عنها الحال لتخصصها بالصفة كما يصح أن يبتدأ أيها .

وأما قوله إن المعنى مصدق لك فلا ريب أنه مصدق له ولكن المراد من الآية أنه مصدق لما تقدم من كتب الله تعالى كما قال ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٢)، وقال :﴿

(١) نتائج الفكر صـ٣٩٦-٣٩٧ مختصرًا .
(٢) سورة المائدة : الآية (٤٨) .

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾[1]

أفلا ترى كيف اطرد فى القرآن وصف الكتاب بأن مصدق لما بين يديه وقال : وباتفاق الناس أن المراد مصدق لما تقدمه من الكتب وبهذه الطريق يكون مصدقًا للنبى ﷺ ويكون أبلغ الدليل على صدقه من أن يقال هذا الكتاب مصدق لك.....» [2]

ثم قال : والجواب الصحيح أن يقال الحال المؤكدة لا يشترط فيها الاشتقاق والانتقال بل التنقل مما ينافى مقصودها فإنما أتى بها لتأكيد ما تقدمها وتقديره فلا معنى لوصف الاشتقاق والانتقال فيها أصلاً وتسميتها حالاً تعبير نحوى اصطلاحى وإلا فالعرب لم تقل هذه حال حتى يقال كيف سميتموها حالاً ؟ وهى وصف لازم وإنما لنحاة سموها حالاً فيالله العجب من أن تكون تسميتهم الحادثة الاصطلاحية موجبة لاشتراط التنقل والاشتقاق فلو سماها مسم بغير هذا الاسم، وقال هذا نصب على القطع من المعرفة إذا جاءت بعد معرفة أكان يلزمه هذا السؤال فقد بان لك ضعف ما اعتمده من الجواب وبالله التوفيق.....» [3]

---

(١) سورة آل عمران : الآيات (١: ٣) .
(٢) بدائع الفوائد ٢/٢٧٦-٢٧٧ مختصرًا .
(٣) بدائع الفوائد ٢/٢٧٨-٢٧٩ مختصرًا .

ونفهم من ذلك أن الحال عند ابن القيم ومن تبعه لا يشترط فيها الاشتقاق بل كل ما دل على هيئة يجوز أن تقع حالاً.

يقول ابن الحاجب « كل ما دل على هيئة صح أن يقع حالاً نحو هذا بسرًا أطيب منه رطبًا....» (١)

هذا – وعلى النحاة فإن جمهورهم اشترطوا اشتقاق الحال وإن كان جامدًا تكلفوا رده بالتأويل إلى المشتق قالوا لأنها فى المعنى صفة والصفة مشتقة، أو معنى المشتق قال تعالى هذه ناقة الله لكم آية أى دالة

وهو الحق لا حاجة إلى هذا التكلف لأن الحال هو المبين للهيئة كما ذكر..... (٢)

وذكرة ابن مالك فقال : يغتفر فى الحال من الجمود وما لا يغتفر فى النعت وذلك لأن الحال شبيهه بالخبر وكثر ما يسميها سيبويه خبراً.....(٣)

وقال أستاذى/الدكتور محمد يسرى رحمه الله : كلمات اللغة قاطبة صالحة لوقوعها حالاً لكل كلمة فى اللغة مادة تتفرع عنها وتصاغ

---

(١) الكافية على شرح الرضى ٣٢/٢مختصرًا .
(٢) شرح الرضى ٣٢/٢مختصرًا .
(٣) شرح الكافية الشافية ٧٣/٢ ، والسهيلى ٣٢٢/٢ ، وشرح الألفية لابن الناظم ٣١٢-٣١٣ ، والهمع ٩/٤ .

منها وفى كل كلمة معنى لحدث من الأحداث ولولا ذلك لما عملت الكلمات وأثر بعضها فى بعضها الأخر [١]

ومن الأحوال التى جاءت غير مشتقة قياسًا الحال الموطئة : وهى اسم جامد موصوف بصفة هى الحال فى الحقيقة فكأن الاسم الجامد وطأ الطريق لما هو حال فى الحقيقة لمجيئه قبلها موصوفًا بها وذلك نحو قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[٢]، وقوله :جاءنى زيد رجلاً طيبًا..... [٣]

(١) فصل المقال فى دراسة الحال صـ ١٣٥ .
(٢) سورة يوسف : من الآية (٣) .
(٣) شرح الرضى ٣٢/٢ ، والمغنى ٥٣٦/٢ ، والتبيان ١٩/٢ .

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث ظهرت لنا النتائج التالية :-

أولاً : أسفر البحث عن إلقاء الضوء على علمين من أعلام العربية هما أبو القاسم السهيلى والإمام أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن القيم الجوزية .

وكتابيهما : نتائج الفكر وبدائع الفوائد، وبيان أهمية هذين الكتابين للمكتبة العربية وللتراث العربى.

ثانيًا : بيان مدى إفادة ابن القيم من كتاب السهيلى حيث شرحه وأظهره وأزال غوامض كلامه ونقل عنه ما يزيد عن الخمسين مسألة وافقه فى أكثرها، واعترضه فى ثلاث عشرة مسألة أو يزيد .

ثالثًا : لم يقف ابن القيم من السهيلى موقف المقلد أو الناقل بل وجه كلامه وشرحه ونقده فى بعض المسائل، واعترض عليه فى غير موضع مما يظهر مدى شخصيته العلمية واستقلاله الفكرى وهذا يدل على أنه إمام فى صنعته وهذا ما ذكرناه فى المسائل السابقة فى البحث.

رابعاً : أخذ ابن القيم فى اعتراضاته على السهيلى عبارات متغيره مثل قوله : "عندى علة أحسن من هذا ، واستدراكاته

لم تكن مقتصرة على مسائل خاصة بل تعدى ذلك إلى مختلف المسائل النحوية والصرفية واللغوية فقد استكمل ابن القيم ما جاء به السهيلى وشرح ما غفل عنه من أقوال وأراء.

خامساً : نلاحظ أحياناً إعجاب ابن القيم الواضح بنحو السهيلى وبطريقة بحثه للمسائل النحوية واللغوية .

سادسًا : لو تأملنا كتاب ابن القيم لوجدناه يستخدم القاعدة النحوية فى خدمة النصوص الشرعية، حيث استمد القاعدة اللغوية من النص القرآنى والحديث الشريف انظر قوله : " ولا يجوز تحريف كلامه سبحانه انتصارًا لقاعدة نحوية هدم مائة أمثالها أسهل من تحريف معنى الآية".

سابعًا : أسهم ابن القيم بجهد كبير فى الخلافات النحوية فنراه يؤيد المذهب الكوفي من ذلك تارة والمذهب البصرى من ذلك أخرى وينتقد السهيلى مرة من ذلك ويوافقه أخرى فهو لم يتعصب لمذهب معين أو إمام محدد، بل هو مع الحق حيث كان والحق فى نظره ما يستقيم مع معنى الآية وبَعُدَ عن التعسف.

ثامنًا : شخصية ابن القيم العلمية تظهر فى حمل النص على أفضل الوجوه وأبعدها عن التعقيد والغموض وهنا منهج

الفقيه الحنبلى المجتهد فى دراسة اللغة حيث يستخدم أحيانًا شخصيته الفقيه فى بحث المسألة اللغوية حيث درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

تاسعًا : أخلاق ابن القيم الحسنة فى اعتراضه على السهيلي بأسلوب لا يخلو من الرقي والبعد عن التقليل فيقول – عندي فيه علة أحسن من هذا ولي فيه رأى آخر وهكذا.

والله أعلم

أهم المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم.

(١) أبو القاسم السهيلى ومذهبه، للدكتور/محمد إبراهيم البنا – دار البيان العربى .

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية طـ المنيرية – مصر .

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ودار إحياء الكتب العربية ١٩٥٧م.

(٤) بغية الوعاة للسيوطى، ت محمد أبو الفضل إبراهيم طـ عيسى البابى الحلبى .

(٥) الحمل فى النحو للزجاجى، ت هلى توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة .

(٦) كتاب سيبويه، ت عبد السلام هارون.

(٧) الكشاف للزمخشرى، در الفكر، بيروت.

(٨) المقتضب للمبرد، ت محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

(٩) نتائج الفكر، أبو القاسم السهيلى، تح . د/ محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام .

(١٠) نفخ الطيب المقرى، ت محمد محيى الدين عبد الحميد، طـ السعادة .

(١١) وفيات الأعيان لابن خلكان، ت محمد محيى الدين عبد الحميد.

(١٢) التغير القرآنى، د/فاضل صالح السامرائى، دار عمار طـ "٤".

(١٣) تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، دراسة وتحقيق الشيخ/عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/على محمد معوض.

(١٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، الحسن بن قاسم المرادى، ت ٧٤٩.

(١٥) الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى، ت.د/فخر الدين قباوة والأستاذ/محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان .

(١٦) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى، ت أحمد محمد الخراط، دار القلم –دمشق.

(١٧) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، لشهاب الدين الآلوسى – دار إحياء التراث العربى .

(١٨) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى، دار الكتب العلمية .

(١٩) شرح التسهيل، ابن مالك الأندلسى، ت عبد الرحمن السيد .

(٢٠) شرح التصريح بمضمون التوضيح للشيخ/خالد الأزهرى .

(٢١) شرح المفصل لابن يعيش النحوى، ت ٦٤٣هـ .

(٢٢) الكليات لأبى البقاء الكفوى، ت ١٠٩٤هـ، ت.د/عدنان درويش.

(٢٣) معانى القرآن للفراء، ت محمد على النجار .

(٢٤) معانى القرآن وإعرابه للزجاج، شرح وتحقيق د/عبد الجليل عبده شلبى، عالم الكتب طـ "١".

(٢٥) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى، ت محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٢٦) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان، ت.د/رجب عثمان محمد .

(٢٧) إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك لإبراهيم بن القيم.

(٢٨) أسرار العربية للأنبارى، ت محمد بهجة البيطار.

(٢٩) الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى، دار الكتب العلمية .

(٣٠) الأصول فى النحو لابن السراج، ت عبد الحسين الفتلى .

(٣١) إعراب القرآن المنسوب للزجاج، ت ودراسة : إبراهيم طـ الهيئة العامة .

(٣٢) إعراب القرآن للنحاس، ت.د/زهير غازى طـ عالم الحلبى.

(٣٣) أمالى ابن الشجرى، تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحى .

(٣٤) إملاء ما مد به الرحمن للعكبرى، طـ دار الكتب العلمية طـ "أ".

(٣٥) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى طـ دار إحياء التراث العربى، بيروت – لبنان .

(٣٦) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، ت محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣٧) البسيط فى شرح جمل الزجاجى لابن أبى الربيع، تحقيق ودراسة د/عياد بن عيد

(٣٨) التبصرة والتذكرة للصيمرى، ت.د/فتحى أحمد مصطفى.

(٣٩) البيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء العكبرى طـ دار ابن خلدون.

(٤٠) التذييل والتكميل لأبى حيان الأندلسى، ت.د/حسن هنداوى.

(٤١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، ت محمد كامل بركات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٨٨هـ.

(٤٢) الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى، ت فخر الدين قباوة.

(٤٣) حاشية الصبان على شرح الأشمونى دار الحرم للتراث.

(٤٤) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبى، ت الشيخ/على محمد معوض، والشيخ/عادل أحمد عبد الموجود.

(٤٥) الدر اللوامع على همع الهوامع للشنقبطى.

(٤٦) روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى للآلوسى ط دار إحياء التراث العربى بيروت – لبنان.

(٤٧) سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق حسن هنداوى، دار الفكر دمشق.

(٤٨) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم، ت.د/عبد الحميد السيد.

(٤٩) شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، ت.د/عبد الرحمن السيد.

(٥٠) شرح الجمل الزجاجى لابن عصفور، ت.د/قمر أحمد.

(٥١) شرح الكافية ابن الحاجب، لرضى الدين.

(٥٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك، حققه د/عبد المنعم هريدى، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى.

البحوث والدوريات

(١) المسائل النحوية فى كتاب بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية رسالة دكتوراة، للباحثة الدكتورة/ سامية على سيد أحمد غفر الله لها وطيب ثراها.

(٢) بين نتائج الفكر للسهيلى، وبدائع الفوائد لابن القيم للدكتور/أيمن الشوا، مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٤ العدد الثالث،والرابع٢٠٠٨م.

(٣) استدراكات ابن القيم الجوزية فى كتابه بدائع الفوائد على السهيلى م.م /ليث شاكر محمود جراد، مجلة جامعة الأنبار للغات والأدب.